View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk

brought to you by CORE

provided by Archive Ouverte en Sciences de l'Information et de la Communication

وأثره تاريخه الفرنسية اللغة إلىمترجم الفلسطيني الأدب .

Richard Jacquemond

To cite this version:

Richard Jacquemond. . وأثره. تاريخه الفرنسية اللغة إلىمترجم الفلسطيني الأدب Alif Journal of Comparative Poetics, JSTOR, 2018, 38. ⟨hal-01838391⟩

HAL Id: hal-01838391

https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-01838391

Submitted on 13 Jul 2018

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire **HAL**, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.

الأدب الفلسطيني مترجماً إلى الفرنسية: تاريخه وأثره

ريشار جاكمون

في إطار دراستي للتبادلات الترجمية بين العربية واللغات الأوروبية المهيمنة، لا سيما الإنجليزية والفرنسية، وهي الدراسة التي بدأتها منذ حوالي ربع قرن (انظر Jacquemond)، ولا زلت أواظب عليها حتى الآن، اخترت لهذا العدد من مجلة **ألف** المخصص لقضايا الترجمة أن أقوم بدراسة حالة دقيقة، أظنها مهمة ودالة في آنٍ واحد، بالنسبة إلى تلك التبادلات، ألا وهي حالة ترجمة النتاج الأدبيّ الفلسطيني (المكتوب بالعربية) إلى الفرنسية. وبطبيعة الحال، ليست هذه الحالة استثناءً بالنسبة إلى ما يدور بشكل عام في الترجمة من العربية إلى اللغات المهيمنة عالمياً، ولكنها تقدم بعض التنويعات – غير المتوقعة أحياناً – على النغم السائد. وقبل أن أخوض في دراسة هذه الحالة، لا بد من مقدمة تؤطرها في هذا النمط السائد، وتتيح لي فرصة تقديم المنهجية التي أتَّبعها في تناولي لتلك القضايا، وهي منهجية أقرب إلى علم اجتماع الثقافة منها إلى الدراسات اللغوية أو الأدبية. وجديرٍ بالذكر هنا أن دراسات الترجمة عموماً شهدت في العقدين الأخيرين اهتماماً متزايداً بهذه المنهجية إلى درجة جعلت البعض يتحدث عن «منعطف سوسيولوجي» sociological turn لدراسات الترجمة.[١]

أدرس، إذن، تيارات الترجمة من العربية وإليها في إطار سوسيولوجي بوصفها مثالاً على القواعد التي تنظم الاقتصاد العالمي للتبادلات اللغوية عموماً، وما يمكن تسميته بالتبادلات بين «الشمال والجنوب» خصوصاً. فالعربية هي اليوم اللغة الأولى أو الثانية لأكثر من ٣٥٠ مليون ناطق بها، واللغة الرسمية الوحيدة، أو إحدى اللغات الرسمية، لخمس وعشرين دولة، وإحدى اللغات الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة (منذ ١٩٧٣). لكنها في الوقت نفسه لغة طرفية مهمشة في التبادلات اللغوية العالمية لأسباب عديدة، تعود في مجملها إلى التاريخ الكولونيالي وما بعد

الكولونيالي للمجتمعات العربية وعلاقتها بالمراكز الأوروبية والأمريكية لإنتاج السلع الرمزية (الثقافية ، العلمية ، الفنية ، الأدبية ، إلخ .) . هذا التبادل غير المتكافئ[٢] بين اللغة العربية ولغات المراكز الأورو-أمريكية يتجلّى في اقتصاد الترجمة وكذلك في شعريتها ، أيْ إن الشروط الخارجية لعملية الترجمة (شروط اقتصادية ، اجتماعية ، ثقافية ، إلخ .) هي التي تحدد ، بطرق مختلفة ، شروطها الداخلية ؛ أيْ الترجمة بوصفها عملية لغوية . إلا أنني لن أقدم في هذه المقالة تحليلاً لمحتوى هذه الترجمات أو الإستراتيجيات التي مال إليها هذا المترجم أو ذاك . وسوف أكتفي ، في هذا الصدد ، بتحليل إستراتيجيات تسويق الترجمات وتلقّيها من خلال تحليل الجهاز الخارجي ، إن صح التعبير ، لتلك الترجمات (العنوان ، صورة الغلاف ، نص المقدمة والغلاف الخلفي) دون الخوض في نص الترجمة ذاته .

ولا بد من الإشارة هنا إلى بُعْدٍ آخر لعدم التكافؤ الذي يميز التبادلات اللغوية العالمية ، ألا وهو عدم التطابق بين الانتماء الاجتماعي والسياسي لكاتب ما واللغة التي يعبِّر عن نفسه بها . تزايد إنتاج الكتَّاب العرب بغير اللغة العربية ، سواء أكان في العلوم أو الفكر أو الأدب ، بشكل مطّرد في العقود الأخيرة (ولا يزال يتزايد) لأسباب عديدة . وبطبيعة الحال ، ينطبق كل هذا على الحالة الفلسطينية ، وإن كان بشكل خاص يتفق مع شروط هذه الحالة الخاصة . فإذا كانت هجرة العرب إلى أوروبا وأمريكا منذ نهاية القرن التاسع عشر عاملاً مهماً في تبنّيهم لغات المهجر بوصفها لغة كتابة (ولْنذكر أن كتاب **النبي** *The Prophet* لجبران خليل جبران لا يزال منذ نشره عام ١٩٢٣ المؤلَّف الأكثر رواجاً عالمياً لكاتب عربي معاصر) . فليس من الغريب أن عدداً لا بأس به من الكتَّاب الفلسطينيين لجأوا ، هم الآخرون ، إلى الكتابة بلغات بلاد هِجْرتهم ، وأشهرهم طبعاً إدوارد سعيد . كما أن الاستعمار من نوع خاص الذي فرض نفسه على فلسطين منذ ١٩٤٨ أدى ببعض الكتَّاب الفلسطينيين إلى أن يتخذوا لغة المستعمر لغة للكتابة ، وأشهرهم اليوم أنطون شماس صاحب رواية **عِرابسك** المكتوبة بالعبرية وسيد قشوع (مواليد ١٩٧٥) الذي تُرْجمت روايتاه الأوليان المكتوبتان بالعِبْرية إلى العديد من اللغات ، منها العَرَبية . وهناك أيضاً كتَّاب فلسطينيون يكتبون بالفرنسية ، أهمهم إلياس صنبر (مواليد ١٩٤٧) ، الذي يقيم في فرنسا منذ أواخر الستينيات ، وله مؤلفات عديدة تتراوح بين الدراسات التاريخية والكتب التي تقدم القضية الفلسطينية إلى الجمهور العام ، وسوف أعود إليه فيما بعد لتناول دوره في ترجمة مؤلَّفات محمود درويش إلى الفرنسية .

لكنني أكتفي في مقالتي هذه بدراسة الكتابات الفلسطينية العربية وترجمتها الفرنسية . وقبل أن أمعن النظر فيها ، لا بد من وضعها في الإطار العام للترجمات العربية الحديثة ، إذ تشترك معها في معظم خصائصها . ومن أبرز هذه الخصائص انحصارها شبه الكامل في المجال الأدبي (الرواية ، القصة ، الشعر) دون غيره من المجالات . لقد بيَّن هيلبرون أن هذه قاعدة عامة لتيارات الترجمة المعاصرة : كلما كان عدد الترجمات من لغة معينة قليلاً ، مال إلى الانحصار في المجال الأدبي ، وفي النوع الروائي خصوصاً . وعلى العكس ، كلما كان عدد الترجمات من لغة معينة أكبر ، مالت هذه الترجمات إلى أن تغطي كل أنواع الكتب (Heilbron 438) . فلا تشذُّ الترجمة من العربية عن هذه القاعدة العامة ، إذ يبدو للقارئ الأجنبي – سواء أكان يقرأ بالإنجليزية أو بالفرنسية أو غيرهما من اللغات الأوروبية الكبيرة – كأن اللغة العربية تصلح للكتابة الأدبية ولا تصلح للكتابة الفكرية أو العلمية! فعدد الكتب المترجمة من العربية في العلوم الإنسانية عموماً جدّ ضئيل ، ويكاد ينحصر في موضوعين هما : قضايا الإسلام السياسي وقضية المرأة . ولا تشذ الترجمات الفلسطينية عن هذه القاعدة سوى في ملمح واحد ، ألا وهو وجود عدد من الترجمات تبتعد عن الأدب البحت وتقترب من الشهادة (يوميات ، مذكرات ، سير ذاتية) . إن التناول الوثائقي للأدب العربي المترجم ظاهرة عامة ، لكنه يتخذ بعداً خاصاً في الأدب الفلسطيني المترجم ، بسبب الصراع القائم على أرض فلسطين بطبيعة الحال ، وسوف أعود إلى هذه المسألة فيما بعد .

الذخيرة الفلسطينية المترجمة إلى الفرنسية : لمحة أولية

تحتوي ذخيرة الأدب الفلسطيني المترجم إلى الفرنسية التي جمعتها لهذه الدراسة على ٧٩ عنواناً منشوراً منذ عام ١٩٧٠ إلى اليوم (انظر القائمة بالترجمات الفرنسية للآثار الفلسطينية الملحقة بهذه المقالة) . تهيمن على هذه الذخيرة شخصية محمود درويش بـ ٢٣ عنوان (٢٩٪ من المجموع) ، لكنها تحتوي كذلك على معظم الكتَّاب الفلسطينيين المكرَّسين : إميل حبيبي (٥ عناوين) ، وجبرا إبراهيم جبرا (٥) ، وسحر خليفة (٤) ، وغسان كنفاني (٣) ، وليانة بدر (٣) ، وسميح القاسم (٢) ، وفدوى طوقان (٢) ، وحسين البرغوثي (٢) ، وعدنية شبلي (٢) ، وأكرم مسلم (٢) ، و١٧ كاتباً

آخر بمؤلَّف واحد . يُضاف إلى هذا ٨ مختارات من القصة القصيرة (٢) والشعر (٤) والحكايات الشعبية (٢) وعمل مسرحي جماعي واحد . ومن الأسماء الغائبة عن هذه الذخيرة يمكن ذكر إبراهيم نصر الله (وله ست ترجمات إنجليزية) ويحيى يخلف (وله ترجمة إنجليزية واحدة) . أما بالنسبة إلى الأنواع الأدبية فتتساوى الترجمات الشعرية (٢٩) تقريباً مع ترجمات الرواية والقصة القصيرة (٢٨) . ويعود الوجود القوي للشعر ، بالمقارنة مع ما نجده في الآداب الأجنبية المترجمة إلى الفرنسية ، وكذلك في الآداب العربية غير الفلسطينية ، إلى شخصية محمود درويش المهيمنة . النوع الثالث يشتمل على المذكرات والشهادات والسير الذاتية ، أيْ كل الأعمال السردية غير التخييلية ، ويحتوي على ١٦ عنواناً (٢١٪) ، وهو نصيب أكبر مما نجده في آداب أجنبية مترجمة أخرى ، ويدل على النزعة إلى الشهادة التي تهيمن على ترجمة الإنتاج الأدبي الفلسطيني . هناك كذلك خمس ترجمات لحكايات شعبية ، منها ثلاث كتب مصورة تنتمي إلى أدب الأطفال . وأخيراً ، نجد ترجمتين فقط في مجال المسرح ، وهو أمر ليس غريباً نظراً إلى صعوبة نشر الأعمال المسرحية (سواء أكانت مترجمة أم لا) في السوق الفرنسية .

وإذا نظرنا إلى التطور الزمني ، وجدنا تقدماً مطرداً من عقد إلى آخر : ٥ عناوين فقط في السبعينيات ، ثم ٩ في الثمانينيات ، ثم ٢١ في التسعينيات ، ثم ٢٧ في العقد الأول من الألفية الجديدة ، ولكن ١٥ فقط بين ٢٠١٠ واليوم ، أيْ إن العقد الحالي سوف يشهد تراجعاً طفيفاً أو – في أحسن الأحوال – توقفاً للتقدم الذي ساد في العقود السابقة . هذا التطور جدّ قريب لما وقع في الترجمة الفرنسية من العربية بشكل عام منذ السبعينيات : تقدُّم مطرد من السبعينيات إلى بداية الألفية الجديدة ، ثم تراجع خفيف (انظر Scarbel) . مما يدل أيضاً على هشاشة تيار الترجمة هذا بالنسبة إلى شروط نشر هذه الكتب ، إذ إن ٣٣ منها (٤٢٪) نُشرت على يد ناشرين صغار و/أو متخصصين ولهم توزيع محدود . ومن دلائل هذه الهشاشة أيضاً قلة إعادات الطبع أو الطبعات في سلاسل كتب الجيب . ومحمود درويش هو أكثر الكتاب الفلسطينيين نجاحاً في فرنسا ، ليس على مستوى عدد العناوين فقط ، بل كذلك من حيث عدد الطبعات الجديدة وطبعات كتب الجيب . فقد أعيد طبع مختاراته المنشورة سنة ٢٠٠٠ في سلسلة الجيب Poésie لدار جاليمار Gallimard – وهي أكثر السلاسل المخصصة للشعر شهرةً

ورواجاً في فرنسا – خمس مرات بعدها ، الأمر الذي يعني مبيعات تفوق العشرين ألف نسخة ، وهو رقم أعلى من الذي يحصل عليه معظم الشعراء الفرنسيين الذين لا يزالون على قيد الحياة ، إن لم يكن كلهم . كما أُعيد طبع العديد من دواوينه التي نشرتها دار آكت سود Actes Sud . وإجمالاً ، يمكن تقدير مبيعاته في اللغة الفرنسية بأكثر من مائة ألف نسخة ، وهو شيء استثنائي تماماً ، إذ لم يجد درويش نجاحاً كهذا في أية لغة أخرى (عدا العربية طبعاً) . وقد كان غيره من كبار الكتَّاب الفلسطينيين أقل حظاً : فقد أعيد طبع ترجمة **المتشائل** لإميل حبيبي (الصادرة عن جاليمار) مرتين ، في حين أن روايتيه الأُخريَيْن المنشورتين في السلسلة نفسها لم يُعَدْ طبعهما قط ، وحتى رواية **المتشائل** لم يُعَدْ نشرها في سلسلة جيب . والوضع لا يختلف كثيراً بالنسبة إلى ترجمات سحر خليفة (إعادة طبع مرة واحدة في كتاب جيب لترجمة **باب الساحة**) وغسان كنفاني (ترجمة **رجال في الشمس** أُعيد طبعها مرة ثم مرة أخرى في سلسلة جيب لكن هذه الطبعة نفدت اليوم) ، وجبرا إبراهيم جبرا (طبعة الجيب لترجمة **البئر الأولى** نفدت اليوم هي الأخرى) .

وللاطلاع على عدد المترجمين كذلك دلالة قوية ، فقد اشترك في هذه الترجمات الـ ٧٩ ما لا يقلّ عن ٤٦ مترجماً ومترجمةً (وأقول «ما لا يقلّ» لأنني لم أحسب فيهم مترجمي الكتب الثلاث التي لم يُذكر على صفحاتها اسم مترجمها أو مترجمتها . من أسباب هذا العدد الكبير أن بعض الكتب لها مترجمان (١٤ كتاباً) بل ثلاثة مترجمين (كتاب واحد : **الصبار** لسحر خليفة) . تدل هاتان الظاهرتان – التشتت الكبير للمترجمين واللجوء إلى أكثر من مترجم لكتاب واحد – على حالة ترجمة الأثر الفلسطيني في فرنسا ، مع العلم أن هذه الحالة ترد أيضاً في ترجمة الأدب المصري وعيره . ويكون اللجوء إلى أكثر من مترجم لكتاب واحد عادة بالنسبة إلى الكتَّاب الذين لم يتم بعد تقديمهم إلى القارئ الأجنبي ، ثم تقل هذه الظاهرة وتميل إلى الاختفاء عندما يصبح الكاتب مترجَماً بطريقة منتظمة . لكننا نجد في حالة الأدب الفلسطيني أن نمط العمل «المنتظم» هذا ، لم يفرض نفسه إلا في حالات استثنائية ، هي حالة إميل حبيبي الذي ترجم رواياته الأربع المترجمُ نفسُه (Jean-Patrick Guillaume) ، وحالة محمود درويش في مرحلة متقدمة (إلياس صنبر ابتداءً من ١٩٩٤) ، بينما عمل على الترجمات الفرنسية لروايات سحر خليفة ثمانية مترجمين ، كما عمل سبعة آخرون على الترجمات الخمس لآثار جبرا إبراهيم جبرا .

ملاحظة أخرى ذات دلالة بالنسبة إلى المترجمين هي تلك التي نستطيع أن نسوقها من قراءة أسمائهم ، إذ نجد أن غالبية هذه الكتب (٤٥ من ٧٩ ، أيْ ٥٧٪) لها مترجم عربي الأصل مقابل ٢٤ كتاباً (٣٠٪) لها مترجم يحمل اسماً فرنسي الأصل و٩ كتب (١١٪) تُرْجِمت على يد فريق «مختلط» إن صح التعبير . نستطيع أن نقارن بين حالة الترجمات الفلسطينية في هذا الصدد وبين الحالة العامة للأدب العربي المترجم إلى الفرنسية ، إذ إن مود ليونار–سانتيني أحصَتْ في بحثها عن الترجمات الفرنسية للأدب العربي بين عامَيْ ١٩٧٩ و٢٠٠١ أن ٤٤٪ من هذه الترجمات لها مترجمون «فرنسيون» مقابل ٤٢٪ لها مترجمون «عرب» و١٤٪ لها فريق مترجمين «مختلط» (انظر Leonhardt-Santini) . هذه النسبة الكبيرة للمترجمين الذين يُرجَّح أن اللغة العربية هي لغتهم الأم (والنسبة أكبر في الترجمات الفلسطينية) تدل على أن تيار الترجمة هذا هو تيار تصديري أكثر منه استيرادي ، أيْ أن الترجمة عملية تصدير يقوم بها فاعلون ينتمون إلى حيز ثقافة الأصل (أو على الأقل لا يزالون على صلة قوية به بعد أن هاجروا إلى أوروبا) ، أكثر من كونها عملية استيراد يقوم بها فاعلون ينتمون إلى حيز ثقافة الهدف (أقتبس هذه التفرقة بين الترجمة بوصفها تصديراً والترجمة بوصفها استيراداً من Sapiro) .

ولْنُنْهِ هذا الجزء الخاص بالمترجمين بملاحظة أكثر إيجابية : أن عدداً منهم شخصيات مرموقة لها باع طويل في الترجمة والكتابة عموماً . فإلياس صنبر ، وهو صاحب معظم ترجمات محمود درويش إلى الفرنسية الصادرة منذ منتصف التسعينيات (١٥ كتاباً إجمالاً) ، مثقف فلسطيني مرموق وُلِدَ في حيفا عام ١٩٤٧ ، ولجأ مع عائلته إلى لبنان بعد النكبة ، ثم هاجر إلى فرنسا عام ١٩٦٩ ليستكمل دراسته ، فاستقر بها وأسَّس عام ١٩٨١ مجلة *Revue d'études palestiniennes* التي ظل رئيس تحريرها حتى عام ٢٠٠٨ عندما توقفت عن الصدور ، وهو عضو المجلس الوطني الفلسطيني منذ ١٩٨٨ ، وحالياً سفير فلسطين لدى منظمة اليونسكو . وإلى جانب ترجماته لمحمود درويش ، فقد ألَّف ما يقرب من عشرة كتب بالفرنسية تتراوح بين البحث الوثائقي التاريخي والتأملات الأكثر حميمية عن الشأن الفلسطيني . ويلي إلياس صنبر من حيث عدد الكتب المترجمة لآثار فلسطينية الشاعر المغربي الذي يكتب بالفرنسية عبد اللطيف اللعبي ، وهو الآخر مثقف مرموق ، من مؤسِّسي مجلة *Souffles* **أنفاس** (١٩٦٦–

١٩٧٣)[٣] التي لعبت دوراً كبيراً في إبراز جيل كامل من الكتاب والمثقفين المغربيين . وكان اللعبي قد اعتقل بسببها وحُكم عليه بالسجن عشرة أعوام عام ١٩٧٢ . ثم استقر في فرنسا في منتصف الثمانينيات . لكنه كان قد بدأ يهتم بترجمة الشعر العربي عموماً ، والفلسطيني خصوصاً ، منذ وقت مبكر ، إذ نشر عام ١٩٧٠ ، في فرنسا وفي المغرب معاً ، مختارات من الشعر الفلسطيني المترجم تحت عنوان *La poésie palestinienne de combat* ، وهي المختارات نفسها التي وسَّعها وأعاد نشرها فيما بعد عدة مرات إلى عام ٢٠٠٨ . وعبد اللطيف اللعبي صاحب ثلاث ترجمات لمحمود درويش ، وكذلك (بالاشتراكِ مع زوجته جوسلين) ترجمات لحكايات شعبية جمعتها ليانة بدر . أضِف إلى ذلك ترجمات لقصص مختارة لغسان كنفاني ، إلى جانب تَرجمات لحنا مينه وعبد الوهاب البياتي ومحمد الماغوط . ومن المترجمين المنتظمين للآثار الفلسطينية كذلك Jean-Patrick Guillaume (مواليد ١٩٤٩) مترجم آثار إميل حبيبي إلى الفرنسية (٤ كتب) ، وهو من المترجمين الجامعيين (كان إلى وقت قريب أستاذاً للغويات العربية في جامعة باريس ٣) ، وله ترجمات أخرى عديدة ، منها رائعة نجيب محفوظ **أولاد حارتنا** .

ومن الجيل الأصغر ، نذكر Stéphanie Dujols صاحبة أربع ترجمات فلسطينية لعدنية شبلي وأكرم مسلم ومحمود شُقير . ولها إلى جانب ذلك أكثر من ١٥ ترجمة لآثار كتاب مصريين ولبنانيين وعراقيين وسعوديين . وإجمالاً ، فإن غالبية المترجمين العاملين في مجال ترجمة الآثار الفلسطينية لهم تجربة واسعة ، إلى هذا الحد أو ذاك ، في ترجمة غيرها من الآثار العربية .

وقبل أن أنتقل إلى الجزء الثاني من هذه المقالة ، من الجدير أن نسوق مقارنة سريعة بين تيار ترجمة الآثار الفلسطينية إلى الفرنسية وتيار ترجمة الآثار العِبْرية ، مستعينين في ذلك ببحث جيزيل سابيرو Sapiro لهذا الأخير("L'importation de la littérature") . يغطي بحث سابيرو ٣ عقود (١٩٧١-٢٠٠١) ، يبلغ عدد الترجمات الأدبية فيها ٢٢٢ كتاباً (مقابل ٣١ ترجمة لكتب فلسطينية في الفترة نفسها) . وإجمالاً ، فإن الجمهور القارئ للأدب العِبْري في فرنسا محدود نسبياً (فإعادات الطبع ليست كثيرة وكذلك المبيعات) ، لكن الفرق الأساسي هو أن هناك عدداً لا بأس به من الكتَّاب الإسرائيليين المشهورين – إلى هذا الحد أو ذاك – الذين يحظون بشروط ترجمة ونشر وتسويق في فرنسا تتطابق – إلى حد أبعد بكثير

من حالة مماثليهم الفلسطينيين – مع الشروط والقنوات العادية لسوق الأدب المترجم (وبخاصة من حيث التعاقد بين الناشر الأصلي وناشر الترجمة وبروز دور الوكلاء الأدبيين literary agents) ، كما أنهم يحظون في الغالب بشروط تلقٍّ تميل أقل إلى إبراز الخصوصية وأكثر إلى إبراز العالمية ، سواء كان تلقياً مُسَيَّساً لكنه مُعَوْلم (من خلال الاهتمام بالأخلاق) أو تلقياً معولماً وغير مسيَّس في آن (حيث يتم التركيز على الأبعاد الذاتية والنفسية والفردية في الكتابة ، وعلى أوجهها الجمالية) (Sapiro, "L'importation" 98) . وسوف نمعن النظر ، في الجزء الثاني من هذه المقالة ، في سياسات ترجمة الأدب العربي الفلسطيني في فرنسا وفي سياسات تلقيه ، من خلال مسح سريع للتطور التاريخي لتيار الترجمة هذا .

الطريق الصعب من الترجمة كنضال سياسي إلى ترجمة أدبية في المقام الأول

بدأت ترجمة الآثار الفلسطينية إلى الفرنسية إثر حرب يونيو ١٩٦٧ التي أسفرت عن انعطافة واضحة للسياسة الفرنسية في الشرق الأوسط ، وكذلك عن وضع القضية الفلسطينية على الخريطة الدولية . فقد ظهرت في عام ١٩٧٠ الترجمتان الأوليان ، وكلاهما مرتبطتان بهذا السياق السياسي بشكل واضح . فَلْنعد أولاً إلى مختارات الشعر الفلسطيني التي نشرها عبد اللطيف اللعبي هذا العام ، إذ إنها صدرت عن ناشر مناضل ، هو بيير–جان أوسفالد Pierre-Jean Oswald (١٩٣١–٢٠٠٠) الذي وصف عمله بوصفه ناشراً قائلاً إنه سعى إلى إصدار «أعمال تنتمي إلى الأقليات سياسياً أو أدبياً» (qtd. in Gaudemer n. pag) ، وتخصَّصَ في نشر الشعر والمسرح قبل أن يضطر إلى الإفلاس عام ١٩٧٧ . ويدل عنوان مختارات اللعبي (*La poésie palestinienne de combat*) ، وكذلك نص الغلاف الخلفي (وهو من تحرير اللعبي على الأرجح) ، على سطوة السياسي في هذا السياق ، إذ ينتهي هذا النص بالتأكيد على أن «لا مأزق للشعر الحداثي في العالم العربي ما دام شعراً لا يتردد في تبنِّي صراع الشعب تبنِّياً كاملاً» (انظر *La poésie*) .

أما الترجمة الثانية المنشورة عام ١٩٧٠ فهي مختارات لشعر محمود درويش تحت عنوان **قصائد فلسطينية : أزهار الدم** (*Les fleurs du sang*) ، وهو عنوان لقصيدة من قصائد درويش ، لكن اختياره لهذه

المجموعة له وقع مزدوج على القارئ الفرنسي ؛ إذ من ناحية يربط بين فلسطين والدم في إشارة إلى واقع الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، ومن ناحية أخرى يحيل القارئ الفرنسي إلى ديوان بودلير الأشهر **أزهار الشر** (*Les fleurs du mal*) . وقد أنجز هذه الترجمة أوليڤييه كاريه Olivier Carré (١٩٣٥-) ، وهو مستعرب فرنسي ، كان راهبًا دومينيكيًا إلى أن ترك الرهبنة في نهاية الستينيات ، وكان من أوائل الباحثين الفرنسيين الذين تخصصوا في دراسة الإسلام السياسي في السبعينيات من القرن الماضي . لكنه إلى جانب ذلك ، نشر عدة كتب تتعلق بالقضية الفلسطينية . أما ناشر ترجمته هذه فهو Éditions du Cerf ، وهي دار أسسها وأدارها الدومينيكان . ويتجلى الانتماء المسيحي للدار في نص تقديم درويش في الغلاف الخلفي للكتاب ، الذي يشير إلى فلسطين باسم Terre Sainte (الأرض المقدسة) ، ويلقب درويش «بالجليلي» le Galiléen لأنه «وُلِدَ بالقرب من Saint-Jean d'Acre» (وهو الاسم الذي أعطاه الصليبيون لمدينة عكا) ، ثم يلي هذا قول منسوب إلى درويش : «أعتز بأني أنتمي إلى البلد الذي شهد ميلاد المسيح . . . . إن كان العالم يشهد كل يوم أكثر من جلجلة جديدة فإني ألاحظ بكل فخر أن الجلجلة الأولى تمت في فلسطين» (*Poèmes*) .

يغلب الطابع السياسي كذلك على الترجمات الأولى لغسان كنفاني التي صدرت في أواخر السبعينيات (*Des hommes dans le soleil*; *Contes de Palestine*) . إذ نلاحظ أن مترجم قصة **رجال في الشمس** (ويليها قصص أخرى) الصادرة عام ١٩٧٧ هو الباحث ميشيل سورا Michel Seurat ، المتخصص في شؤون لبنان وسوريا المعاصرة ، الذي لقي حتفه في لبنان عام ١٩٨٦ وهو رهينة جماعة إرهابية لبنانية . ويربط نص الغلاف الخلفي للطبعة الثانية من ترجمة سورا بين وفاة غسان كنفاني «الذي قتلته المخابرات الإسرائيلية» في بيروت ووفاة سورا «الذي تم اغتياله هو الآخر» (*Des hommes dans le soleil*) . وتعد الترجمة الفرنسية الأخرى لكنفاني الصادرة في فرنسا ، في عقد السبعينيات (*Contes de Palestine*) مثالاً آخر لهذا التلقي السياسي للأثر الأدبي الفلسطيني في هذه المرحلة المبكرة . إذ إنها صدرت مع مقدمةٍ لإبراهيم الصوص (١٩٤٥-) ، وهو كاتب وسياسي فلسطيني كان ممثلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا وصاحبُ عددٍ من الكتب عن فلسطين كتبها بالفرنسية ، لكن ترجمة

كنفاني هذه صدرت دون ذكر اسم مترجمها . تلاحظ مود ليونار–سانتيني أن ٤٠٪ من الترجمات الفلسطينية الصادرة في فرنسا ، في الفترة التي درستها (١٩٧٩–٢٠٠١) ، تحتوي على تعليق إما في مقدمة أو في خاتمة الكتاب ، مقابل ٣٣٪ من الترجمات اللبنانية و٢٥٪ من الترجمات المصرية (Leonhardt-Santini 292) ، وتضيف أن هذه التعليقات في الغالب لا تؤدي غرضاً أدبياً ، بل تجذب انتباه القارئ إلى السياق السياسي والاجتماعي ، ومن ثمَّ فإن النسبة العالية من هذه التعليقات المصاحبة للترجمات الفلسطينية تكشف أنها – أكثر من مثيلاتها اللبنانية والمصرية – تميل إلى أن تُعْرَض على القارئ الفرنسي بوصفها وثيقة سياسية و/أو اجتماعية أكثر من كونها عملاً أدبياً . ويتجلى هذا في تقديم إبراهيم الصوص لقصص غسان كنفاني . إذ يقول الصوص ، مثلاً ، إن القصص المترجمة في هذه المجموعة تم اختيارها «لأنها تشهد على فترة من الزمن» وليس «لأنها الأكثر توفيقاً من الناحية الأدبية» (qtd. in Leonhardt-Santini 294) . يصف الصوص كنفاني بأنه مناضل أكثر من كونه كاتباً ، ويؤكد على محاسنه الشخصية أكثر من تأكيده على محاسن عمله الأدبي . وإجمالاً ، فإن مقدمته «تبدو للقارئ بوصفها مرافعة من أجل القضية الفلسطينية ويبدو كنفاني بوصفه كناية لشعبه» (Leonhardt-Santini 294) . وأخيراً ، تلاحظ ليونار–سانتيني أنه بينما يؤكد الصوص على الطابع الاستعماري للوجود الإسرائيلي ، يخفف الناشر هذا التأكيد قائلاً في الغلاف الخلفي «إن القارئ لن يجد [في كتاب كنفاني] أي أثر لكراهية موجَّهة إلى إسرائيل» (Leonhardt-Santini 294) .

يدل مثال ترجمة كنفاني هذه على أن الوسطاء والمترجمين العرب كثيراً ما يسهمون في القراءة المُسيَّسة للإنتاج الأدبي العربي (وهنا الفلسطيني) . وفي المقابل ، فإن الترجمة الأولى لسحر خليفة ، الصادرة في باريس عام ١٩٧٨ (*Chronique du figuier barbare*) ، تبدو أقل هذه الترجمات السبعينية تسييساً ، ولعل هذا يعود إلى كونها صدرت عن دار جاليمار ، وفي سلسلتها «من العالم أجمع» Du monde entier ، التي تُعَدُّ من أكثر السلاسل المخصصة للآداب الأجنبية حظوةً . ويبدو هذا التأكيد على غلبة الأدبي على السياسي في الغلاف الخلفي للكتاب ، حيث يقول الناشر إن هذا «العمل المثير الجميل . . . يدافع عن القضية العربية بطريقة أفضل ، بلا شك ، من تبسيطات الخطابات السياسية حول هذه

المأساة» (*Chronique du figuier barbare*) . وإن كان هذا التأكيد على القيمة الأدبية محموداً ، فاختيار العنوان الفرنسي لرواية خليفة يبدو أقل توفيقاً . فالعنوان الأصلي – **الصبار** – هو استعارة للصمود الفلسطيني ، بينما العنوان الفرنسي – *Figuier barbare* – يبدو تنويعاً شعرياً على شجرة Figuier de Barbarie ، وهو الاسم الفرنسي للتين الشوكي ، حيث تحويل اسم العلم Barbarie (وهو تسمية فرنسية قديمة لسواحل شمال أفريقيا ، حيث انتشر هذا النبات) إلى الصفة barbare يعطي انطباعاً بالعنف والغرابة ، بعيداً كل البعد عن رمز الصمود العزيز على المؤلفة . أما كلمة Chronique المضافة إلى العنوان التي يمكن ترجمتها إلى العربية بـ«تأريخ» أو «أخبار» فهي تحوِّل الرواية من عالم الخيال أو التخييل إلى عالم الواقع أو الحقيقة ، أيْ إنها تؤكد على القيمة الوثائقية للعمل الأدبي (وهذا التأكيد هو كذلك النبرة السائدة في تقديم الغلاف الخلفي للكتاب) . أما عن مترجمي رواية **الصبار** فهم جمال الدين بن شيخ (**١٩٣٠–٢٠٠٥**) ، أستاذ الأدب العربي بجامعة باريس (وهو جزائري الأصل) ، وكان وقتذاك مستشاراً أدبياً لدار جاليمار ، وأمينة رشيد ، أستاذة الأدب المقارن بجامعة القاهرة التي كانت وقتذاك مقيمة في فرنسا وتعمل باحثة في المركز القومي للبحث العلمي ، وقد أُضيف إليهما اسم كاترين ليڤي ، وهي باحثة في علم الاجتماع عملت مدرِّسة في الجزائر ، وكانت منخرطة في العمل التضامني مع القضية الفلسطينية في السبعينيات ، وأرجِّح أنها لا تقرأ العربية وإنما اشتركت في إعادة الصياغة الفرنسية للترجمة .

يمكن مقارنة الدور الذي لعبه جمال الدين بن شيخ لدى دار جاليمار ، بالدور الذي لعبه بعد هذا بسنين قليلة عبد اللطيف اللعبي لدى ناشر فرنسي آخر صاحب رأس مال رمزي عالٍ في المجال الأدبي الفرنسي ، ألا وهو دار نشر مينوي Éditions de Minuit ، ناشر صمويل بيكت وأوجين يونسكو وكتَّاب «الرواية الجديدة» Nouveau roman من أمثال ألان روب جرييه وناتالي ساروت وكلود سيمون ، إلخ . وكان جيروم ليندون Jérôme Lindon مؤسِّس دار مينوي ناشراً طليعياً وفي الوقت نفسه ملتزماً على المستوى السياسي (نذكر ، مثلاً ، تضامنه مع قضية استقلال الجزائر أثناء حرب التحرير من الاستعمار) . وقد أبدى ليندون اهتماماً بالقضية الفلسطينية أول الأمر عندما جعل من دار مينوي الموزِّع لمجلة *Revue d'études palestiniennes* عام ١٩٨١ . وفي السنين التالية ، نشر

أربع ترجمات فلسطينية لعبد اللطيف اللعبي : **مختارات من شعر محمود درويش** (*Rien qu'une autre année*) ثم مختارات أخرى لشعر سميح القاسم ، وترجمة لديوان درويش **ورد أقل** (*Plus rares sont les roses*) ، وأخيراً كتاب وثائقي حول قضية قصيدة درويش **عابرون في كلام عابر** التي كان رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق شامير قد استنكرها أمام الكنيست في أبريل ١٩٨٨ في عزّ الانتفاضة الأولى (*Palestine mon pays*) . ولا نبالغ إذا قلنا إن هذا التعاون بين دار مينوي وعبد اللطيف اللعبي هو الذي فرض وجود درويش على الساحة الفرنسية في الثمانينيات ، حتى وإن ساعد على ذلك السياق السياسي ، إذ إن مختارات درويش نشرت عام ١٩٨٣ ، أيْ إبان الاجتياح الإسرائيلي للبنان الذي أعاد القضية الفلسطينية إلى رؤوس الأخبار ، كما أن العناوين الثلاثة الأخرى نُشِرَتْ أثناء الانتفاضة الفلسطينية الأولى أو إبانها . وقد سمح أيضاً هذا السياق لأوليڤييه كاريه أن يعيد نشر مختاراته لشعر درويش التي لقيت اهتماماً جدّ محدود عند صدورها عام ١٩٧٠ في طبعة مزيدة وتحت عنوان جديد مقتبس هو الآخر من أحد دواوين درويش لكنه أقرب إلى السياق الثمانيني ، إذ انتقلنا من **أزهار الدم** إلى **يوميات الحزن العادي** (*Poèmes palestiniens: Les fleurs du sang*; *Chroniques de la tristesse ordinaire*) . وبما أننا ذكرنا مجلة *Revue d'études palestiniennes*، فلا يفوتنا ذكر الدور الذي لعبته في التعريف بالأدب الفلسطيني في فرنسا ، إذ كانت تنشر في معظم أعدادها نصوصاً أدبية لكتَّاب فلسطينيين (وأحياناً لكتَّاب من بقاع عربية أخرى) مترجمة إلى الفرنسية .

إلا أن هناك عاملاً آخر ساعد في زيادة عدد الترجمات الفلسطينية (والعربية عموماً) ، ألا وهو توسيع سياسات دعم الترجمة إلى الفرنسية . وفي هذا الصدد ، يجب أن نفرِّق بين وجهين من الدعم : الدعم «العام» أيْ الموجَّه إلى كافة الآداب الأجنبية ، والدعم «الخاص» أيْ الذي يقصد الترجمة العربية فقط . ويُعَدُّ المركز القومي للكتاب Centre National du Livre أهم هذه الجهات العامة ، وهو يطرح على موقعه على شبكة الإنترنت قاعدة بيانات لكافة الكتب التي دعمها منذ تأسيسه (انظر "Catalogue") . هكذا نجد أنه دعم ٣٣٢٤ ترجمة من كافة لغات العالم منذ ١٩٨٢ حتى ٢٠١٦ ، منها ١٣١ (أيْ ٤ ٪) من اللغة العربية ، وفي قائمة هذه الترجمات العربية نجد ٧ مؤلفات لكتَّاب فلسطينيين . من

الدعم العام أيضاً ، ذلك الذي أعطته منظمة اليونسكو لترجمة مختارات قصص غسان كنفاني *Contes de Palestine* ، وكذلك لمختارات شعر درويش عند دار مينوي (*Rien qu'une autre année*) ولترجمة ديوانه **ورد أقل** (*Plus rares sont les roses*) . أما الدعم الخاص بالآداب العربية فقد اتخذ أشكالاً مختلفة ، منها ما حظيت به دار سندباد التي أسَّسها پيير برنار Pierre Bernard في بداية السبعينيات لتتخصص في المنشورات التي تتعلق بالعالم العربي والثقافة الإسلامية ، إذ كانت دار سندباد تطبع كتبها في باريس ، شأنها شأن كافة الناشرين الفرنسيين ، ولكنها إلى جانب ذلك كانت تصدِّر ما بين ألفي وثلاثة آلاف نسخة من كل عنوان تنشره إلى الجزائر ، وفقاً لاتفاق بين برنار والحكومة الجزائرية ظلت هذه الأخيرة تلتزم به إلى نهاية الثمانينيات ، ثم تخلت عنه بسبب الأزمة الاقتصادية ثم السياسية التي مرَّتْ بها البلاد آنذاك . وقد أدى ذلك إلى إفلاس دار سندباد عام ١٩٩٤ . لكن دار سندباد التي نشرت حوالي مئة وسبعين عنواناً بين ١٩٧٢ و١٩٩١ لم تنشر سوى ترجمة واحدة من الأدب الفلسطيني ، هي ترجمة ميشيل سورا لرواية **رجال في الشمس** لغسان كنفاني سالفة الذكر . ومن الدعم الخاص أيضا ، ذلك الذي خَصَّصه معهد العالم العربي ، وهو مؤسسة فرنسية عربية عامة ، لنشر الأدب العربي مترجماً إلى الفرنسية في الثمانينيات من القرن الماضي ، من خلال سلسلة خاصة نشرتها دار جان كلود لاتيس Lattès ، وهي دار نشر كبيرة لم يكن لها سابق علاقة بالشؤون العربية . وقد احتوت هذه السلسلة على ١٢ عنواناً ، منها رواية جبرا إبراهيم جبرا **البحث عن وليد مسعود** (*À la recherche de Walid Masud*) ومترجمتها France Douvier Meyer . كما دعم معهد العالم العربي ترجمة ونشر رائعة إميل حبيبي **الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي نحس المتشائل** (*Les aventures extraordinaires de Saïd le peptimiste*) ، وهي ثانيةُ الترجمات العربية الصادرة في سلسلة «من العالم أجمع» عن دار جاليمار ، بعد صدور ترجمة **الصبار** لسحر خليفة بتسعة أعوام . نشرت جاليمار ترجمتين أخريَيْن لإميل حبيبي (*Péchés oubliés*; *Soraya fille de l'ogre*) ، وترجمة أخرى لسحر خليفة (*La foi des tournesols*) فقط . لماذا فقدت جاليمار اهتمامها بالأدب الفلسطيني؟ لا يبدو أن السبب الرئيسي يتعلق بالنجاح التجاري المحدود لهذه الترجمات (واحدة فقط من الترجمات الخمسة

المنشورة عند جاليمار أُعيد طبعها ، هي ترجمة **الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي نحس المتشائل**) ، إذ إن المعيار التجاري لم يكن قط حاسماً في سياسة هذه السلسلة التي تراهن على المدى البعيد وتهدف إلى تكوين ذخيرة أدبية (Sapiro, "L'importation" 81) . إلا أن قلة الترجمات العربية في هذه السلسلة (ومجملها ١٥ ترجمة ، مقابل ٤٣ ترجمة من العربية أو ٣٧ ترجمة من التركية مثلاً ، من مجمل ٢٢٧١ عنوان صدر في هذه السلسلة منذ إنشائها عام ١٩٣١)[٣] يدل على صعوبة إيجاد المكان الذي يستحقه الأدب العربي المترجم لدى الناشرين الفرنسيين الكبار . فالوضع الذي شخَّصناه عند جاليمار يتكرر بأشكال جدّ متشابهة عند فلاماريون Flammarion أو لوسوي Le Seuil وألبان ميشيل Albin Michel ، وغيرها من كُبْريات دور النشر الفرنسية التي تولي اهتماماً خاصاً للآداب الأجنبية .

ولكن ، فَلْنَعُدْ إلى سردنا التاريخي ، إذ شهد عقد التسعينيات عدة تطورات إيجابية لوضعية الأدب الفلسطيني في فرنسا ، ولا شك أن تحسُّن صورة القضية الفلسطينية في فرنسا ، وفي الغرب عموماً ، إثر اتفاقيات أوسلو (١٩٩٣) لعب دوراً مهماً في هذا التطور . ونذكر هنا حدثين مهمين ساعدا على تعريف الأدب الفلسطيني في فرنسا : الأول هو تظاهرة «الجميلات الأجنبيات» Belles étrangères المخصصة للكتاب الفلسطينيين عام ١٩٩٧ . وتظاهرة «الجميلاتُ الأجنبياتِ» مهرجانٌ أدبي يهدف إلى تعريف الجمهور الفرنسي بالآداب الأجنبية ، نظَّمه المركز القومي للكتاب (التابع لوزارة الثقافة) بين عامَيْ ١٩٨٧ و٢٠١٠ . وكانت كل دورة منه مخصصة لبلد من البلدان ، وخلالها يُدْعَى إلى فرنسا ما بين عشرة وعشرين كاتباً وكاتبة من البلد المُكَرَّم . وقد كانت مصر أول بلد عربي يُكَرَّم في هذا الإطار عام ١٩٩٤ ، بعد إسرائيل مباشرة .[٤] وقد ضغطت بعدها جهات عديدة لتكون فلسطين البلد العربي الثاني الحائز على هذا التكريم . وصدرت بمناسبة هذه التظاهرة عدة ترجمات جديدة ، إلى درجة أن عام ١٩٩٧ يُعَدُّ إلى يومنا هذا العام الذي صدر فيه أكبر عدد من الترجمات الفلسطينية في فرنسا : ٩ ترجمات من مجمل ٢٠ ترجمة نُشِرَتْ في عقد التسعينيات كله ، أيْ ما يقرب من نصفها .

أما الحدث الثقافي الثاني والمتزامن تقريباً مع الأول فهو الفيلم الوثائقي الذي أنتجته القناة الثالثة للتليفزيون الفرنسي والمخصص لمحمود درويش ، وذلك في إطار برنامج «قرن من الكُتَّاب» Un siècle d'écrivains ، وهو فيلم أخرجته سيمون بيطون Simone Bitton ، وهي مخرجة من أصل

مغربي (من مواليد الرباط عام ١٩٥٥) هاجرت مع أسرتها إلى إسرائيل ، ثم استقرت في باريس ، وهي بذلك حائزة على ثلاث جنسيات وتَعتبر نفسَها منتميةً إلى ثلاث ثقافات . ومع أن هذا الفيلم لم يعرض سوى مرة واحدة في التلفزيون الفرنسي عام ١٩٩٨ ، فقد بقي بعد ذلك تعريفاً رائعاً بحياة درويش وشعره ، يُعْرَض في مناسبات شَتَّى .

وقد كان محمود درويش مقيماً في باريس لفترة طويلة بين منتصف الثمانينيات ومنتصف التسعينيات ،لكن لا يبدو أن هذه الإقامة كانت عنصراً حاسماً في العلاقة الخاصة التي تطورت بينه وبين الجمهور الفرنسي . ذلك أنه – على عكس زميله أدونيس المقيم هو الآخر في باريس منذ منتصف الثمانينيات – بقي في باريس غريباً ، لم يتعلم اللغة الفرنسية ولم يُقِمْ علاقات في الوسط الشعري والأدبي الفرنسي . كل ما في الأمر أن وجوده في باريس في هذه الفترة ربما سمح له أن يستجيب لدعوات القراءة الكثيرة التي كانت تُوَجَّه له من مؤسسات ثقافية في كافة أنحاء فرنسا ، ولكنه بقي يستجيب لتلك الدعوات حتى بعد أن غادر باريس ليعود إلى فلسطين عام ١٩٩٥ . وربما كان أهمُّ ثمرات إقامته في باريس العلاقةَ الحميمة التي نشأت بين درويش ومثقفيْن عربييْن أقاما في باريس منذ أواخر الستينيات وأخذا الجنسية الفرنسية ، هما الفلسطيني إلياس صنبر الذي أصبح مترجمه شِبْه الحصري بدءاً من ١٩٩٤ والسوري فاروق مردم بك (١٩٤٤–) الذي أصبح ناشره بدءاً من ١٩٩٥ . فقد كانت آكت سود – وهي دار نشر أُنشئت عام ١٩٧٨ في مدينة آرل Arles جنوب فرنسا وبَنَت نجاحها على تعريفها القراء الفرنسيين بعدد من الكتَّاب الأجانب مثل : الأمريكي بول أوستر ، والروسية نينا بربروڤا ،والمجري إمري كرتس – قد أنشأت سلسلة خاصة للأدب العربي المترجم عام ١٩٩٢ ،وهي الأولى من نوعها في النشر الفرنسي «العادي» ، أيْ خارج الناشرين المتخصصين مثل دار سندباد أو السلاسل المدعومة مثل سلسلة دار لاتيس . وفي عام ١٩٩٥ ، قررت آكت سود شراء أرصدة سندباد بعد أن أعلنت الأخيرة إفلاسها ، فاحتفظت بالاسم لتنشر تحت اسم سندباد كتباً تتعلق بالعالم العربي ، سواء أكانت مترجمة أم لا . وكلَّفت الدار فاروق مردم بك برئاسة السلسلتين ، تلك التي أنشئت عام ١٩٩٢ وسلسلة سندباد ، منذ ١٩٩٥ . ومن هذا الموقع أصبح فاروق مردم بك أهم الناشرين للأدب العربي المترجم في فرنسا ، حيث أشرف منذ ١٩٩٥ إلى يومنا هذا على نشر أكثر من مائتي ترجمة . وقد نشرت دار آكت سود ٢٨ ترجمة من آثار فلسطينية منذ ١٩٩٤ (أيْ ٣٥٪ من إجمالي الترجمات الفلسطينية المنشورة في فرنسا) ، منها

١٧ ترجمة لمحمود درويش ، أيْ كل ما نُشِرَ له في فرنسا منذ ١٩٩٤ باستثناء المختارات الشعرية التي نشرت عام ٢٠٠٠ في سلسلة Poésie عن دار جاليمار تحت عنوان **تضيق بنا الأرض** (*La terre nous est étroite*) .

كثيراً ما اشتكى محمود درويش أنه يُقْرَأ بوصفه لسان حال للقضية الفلسطينية ، وطالب قرَّاءه أن يروا فيه الشاعر قبل أن يروا الفلسطيني . وخير مثال على ذلك المقدمة التي كتبها لمختارات شعره عند جاليمار ، والتي تتكرر فيها كلمات «شعر» (١٨ مرة) و«شاعر» (١٥ مرة) و«قصيدة» (٢٠ مرة) ، على حين لا تُذْكَرُ فيها كلمة «فلسطين» سوى مرة واحدة . كما أن كون درويش هو الذي اختار القصائد المجموعة في تلك المختارات ، وهو الذي كتب مقدمتها ، أمر يدل على تحرُّره من الوسطاء وقدرته على السيطرة على صورته . وهذا يدل على التقدم الذي طرأ على تلقيه في فرنسا من السبعينيات إلى بداية الألفية الجديدة . ولا شك أنه ، لو كان قُدِّر له أن يعيش حتى يومنا هذا ، لكان أسعده أن يرى نفسه في صحبة الشاعر الفرنسي رينيه شار والأسباني فيدريكو جارسيا لوركا في مادة الأدب المقارن لمسابقة التبريز agrégation لعاميْ ٢٠١٦ و٢٠١٧ ، وهي المسابقة التي يتم من خلالها تعيين أساتذة اللغة والآداب الفرنسية في المدارس الثانوية الفرنسية وأحياناً في التعليم العالي كذلك ، ويُعَدُّ هذا الاختيار من قِبَل القائمين على هذه المسابقة المؤشر الأحدث ، وليس الأقل شأناً ، للتكريس الذي يحظى به محمود درويش في الحقل الأدبي الفرنسي .

إلا أنه ، ولْنختم هذا العرض الموجز ، يبدو أن درويش هو الوحيد الذي استطاع أن يتجاوز المحلي والسياسي ليحظى بتلقٍّ ذي طابع عالمي وإنساني ، حتى وإن أخذت هذه العملية ثلاثة أو أربعة عقود . ذلك أن الوضع بالنسبة إلى زملائه ومواطنيه الأدباء الفلسطينيين في فرنسا الآن لا يزال هشّاً ، بل ومؤشراً بالتراجع . ذلك أن التصوير السائد للقضية الفلسطينية في فرنسا ، الذي كان أقرب إلى التعاطف في التسعينيات أصبح الآن أقل تعاطفاً بسبب الخوف المتزايد من الإرهاب الإسلامي ، كما أن القضية الفلسطينية اختفت من الإعلام وحلَّ محلها «الربيع العربي» ثم الحرب السورية وداعش ، إلخ . يضاف إلى ذلك أن الساحة الأدبية الفلسطينية نفسها تطورت ، فلم يعد فيها زعماء من طراز إميلِ حبيبي أو سحر خليفة ، وتميل الأجيال الأصغر إلى أن تقيم حاجزاً صارماً بين الإنتاج الأدبي والموقف السياسي ، شأنها شأن مجايليها من

الكتَّاب والكاتبات العرب (وغير العرب) . نتيجةً لهذه التطورات ، نجد أن تيار الترجمة من العربية إلى الفرنسية الذي كان قد تزايد من عقد إلى عقد ، من السبعينيات إلى بداية الألفية الجديدة ، لم يعد كذلك في العقد الحالي ، بل إن هناك تراجعاً ملحوظاً في عدد الترجمات بالنسبة إلى الأدب الفلسطيني من معدل ٣ ترجمات كل سنة في عقد ٢٠٠٠- ٢٠٠٩ (٢٧ ترجمة) إلى معدل ترجمتين كل سنة في العقد الحالي (١٥ ترجمة فقط من عام ٢٠١٠) . هذا بينما تُرْجِم في فرنسا منذ سنة ٢٠١١ من الآثار الأدبية السورية أكثر من كل ما تُرْجِم قبل سنة ٢٠١١ . ولا يزال وضع الأدب العربي عموماً في سوق الترجمة الفرنسي وضعاً هامشياً ، ولا تزال ديناميات تلقيه تسودها معايير خارج المعايير الأدبية .

الهوامش

[١] راجع ، على سبيل المثال لا الحصر ، أبحاث جان مارك جوانفيك (انظر Gouanvic) ودانييل سيميوني (انظر Simeoni) ، وكذلك العدد الخاص بالترجمة الذي أشرف عليه يوهان هيلبرون وجيزيل ساپيرو (انظر Heilbron et Sapiro) . ويحتوي عددا مجلة *The Translator* اللذان أشرفت على تحريرهما الزميلة سماح سليم – أحدهما بالاشتراك معي – (انظر Selim; Jacquemond and Selim) على عدد من الأبحاث الخاصة بالسياق العربي التي تندرج بشكل أو بآخر في هذا الاتجاه .

[٢] لتقديم الإطار العام للدراسة السوسيولوجية عن السوق العالمية للترجمة ، راجع مقدمة ساپيرو Sapiro للعدد الخاص من مجلة *Bibliodiversity* عن «الترجمة والعولمة» (“Translation as a Weapon”)، والمراجع الببليوجرافية المذكورة في تلك المقدمة . انظر كذلك في العدد نفسه مقالتي حول تيارات الترجمة من العربية وإليها بعنوان “Les flux de traduction de et vers l’arabe”.

[٣] هذه الأرقام مشتقة من بحث قمت به بواسطة محرك البحث المتوفر في موقع جاليمار يوم ٤ مايو ٢٠١٧ .

[٤] تجلى الوضع الفلسطيني المعقد في التظاهرتين ، المخصصة لإسرائيل (١٩٩٤) ولفلسطين (١٩٩٧) ، إذ دُعي في الأولى الكاتب إميل حبيبي والشاعرة سهام داوود ، ودُعي في الثانية الكاتب أنطون شماس الذي كان يكتب وقتذاك بالعِبْرية ، وكذلك إدوارد سعيد وإلياس صنبر رغم أنهما لم يكتبا أدباً إبداعياً .

المراجع

"Catalogue en ligne du Centre National du Livre." *CNL*. <http://cnl.bibli.fr/opac/>.

Gaudemer, Marjorie. "Quatre pièces sur la Commune chez P.-J. Oswald (1971-1974)." *Théâtre(s) politique(s)* 1 (octobre 2012): <http://theatrespolitiques.fr/2012/09/21/quatre-pieces-sur-la-commune-chez-p-j-oswald-1971-1974/>.

Gouanvic, Jean-Marc. *Sociologie de la traduction. La science-fiction américaine dans l'espace culturel français des années 1950*. Arras : Artois Presses Université, 1999.

Heilbron, Johan. "Towards a Sociology of Translation: Book Translations as a Cultural World-System." *European Journal of Social Theory* 2.4 (1999): 429-44.

--- et Gisèle Sapiro, eds. "Traduction: Les échanges littéraires internationaux." *Actes de la recherche en sciences sociales* 144 (septembre 2002).

Jacquemond, Richard. "Translation and Cultural Hegemony: The Case of French-Arabic Translation." *Rethinking Translation*. Ed. Lawrence Venuti. London: Routledge, 1992. 139-58.

---. "Les flux de traduction de et vers l'arabe." *Bibliodiversity* 3 (février 2014): 11-18. <http://www.alliance-editeurs.org/IMG/pdf/bibliodiversity_3_jacquemond.pdf>.

--- and Samah Selim, eds. "Translating in the Arab World," special issue of *The Translator* 21.2 (2015).

Leonhardt-Santini, Maud. *Paris : Librairie arabe*. Marseille : Éditions Parenthèses, 2006.

Sapiro, Gisèle. "L'importation de la literature hébraïque en France: Entre universalisme et communautarisme." *Actes de la recherche en sciences sociales* 144 (septembre 2002): 80-98.

---. "Translation as a Weapon in the Struggle Against Cultural Hege-

mony in the Era of Globalization." *Bibliodiversity* 3 (février 2014): 31-40. <http://www.alliance-editeurs.org/IMG/pdf/bibliodiversity_3_sapiro.pdf>.

Scarbel, Audrey. "Éditer les littératures arabes contemporaines en France (2000-2014)." Diss. Université de Paris 13, 2015.

Selim, Samah, ed. "Nation and Translation in the Middle East," special issue of *The Translator* 15.1 (2009).

Simeoni, Daniel. "The Pivotal Status of the Translator's Habitus." *Target* 10.1 (1998): 1-39.

ملحق
قائمة بالترجمات الفرنسية للآثار الفلسطينية

تضم هذه القائمة الكتب المنشورة في فرنسا وبلجيكا وسويسرا . ويُشَارُ فيها إلى النوع الأدبي بالرموز الآتية :

FCL: Folktales and Children's literature
FI: Fiction
NF: Nonfiction
PO: Poetry
TH: Theater

١ . أنطولوجيات (حسب تاريخ صدورها)

La poésie palestinienne de combat. Mahmud Darwich, Samih Al Qassim, Tawfiq Az-Zayad, Fadwa Touqan et neuf autres poètes. Choix et trad. Abdellatif Laâbi. Honfleur : Pierre Jean Oswald; Casablanca : Ed. Atlantes, 1970. [PO]

Histoires et nouvelles de Palestine. Trad. Claude Krul. Paris : Le Sycomore, 1980. [FI]

Histoires d'avant qu'il n'y ait plus d'après. Trad. Michel Eckhad et Marianne Weiss. Paris : Alfil, 1994. [FI]

Il était plusieurs fois : Contes populaires palestiniens. Dir. Sherif Kanaana et Ibrahim Muhawi. Trad. Leila el-Masri. Paris : Arcantère, 1997. Basé sur l'éd. anglaise : *Speak Bird, Speak Again*. Berkeley: U of California P, 1989. [FCL]

La poésie palestinienne contemporaine. Choix et trad. Abdellatif Laâbi. Paris : Messidor, 1990. Rééd. *Le temps des cerises*. Pantin, 2002 . Rééd. 2008. [PO]

Contes populaires de Palestine. Choisis, traduits et racontés par Praline Gay-Para. Arles : Actes Sud, 2003. Rééd. Magnard, 2005. [FCL]

Le poème palestinien contemporain. Choix et présentation Ghassan Zaqtan. Trad. Antoine Jockey. Châtelineau [Belgique] : Le Taillis pré, 2008. [PO]

Poésie de Palestine. Anthologie rassemblée par Tahar Bekri. Paris : Al Manar/Éd. Alain Gorius, 2013. [PO]

٢ . كتب بدون كاتب (حسب تاريخ صدورها)

Anonyme. *Le bûcheron et la petite fève, conte populaire palestinien*. Trad. Leïla el-Masri. Adaptation Mahmoud Shuqayr. Paris : Syros, 2001. [FCL]

[Coll.] *Théâtre Ashtar, les monologues de Gaza : la jeunesse de Gaza raconte des histoires de guerre et de siège*. Paris : Éditions de l'Instant, 2013. [TH]

٣ . كتب لها مؤلف أو أكثر (أبجدياً حسب الاسم الأخير)

Abou Hashhash, Mahmoud (1971-). *Ramallah, mon amour*. Trad. Emma Aubin-Boltanski et Leïla Tahir. Paris : Galaade, 2007. [FI]

Alaili, Anas (1975-). *Avec une petite différence*. Trad. Mohammed El-Amraoui. Préface Bernard Noël. Toucy, Décharges/Châteauroux-les-Alpes : Gros Textes, 2009. [PO]

---. *Étreintes tardives*. Trad. Mohammed el Amraoui et l'auteur. Préface Francis Combes. Paris : L'Harmattan, 2016. [PO]

Ali, Taha Muhammad (1931-2011). *Une migration sans fin*. Trad. Antoine Jockey. Paris : Galaade, 2012. [PO]

Al-Asaad, Mohammed. *Mémoires d'un village palestinien disparu*. Récit commenté par Joseph Algazy. Trad. Sara Descamps-Wassif. Paris : Albin Michel, 2002. [NF]

Badr, Liana (1950-). *Les oiseaux de retour. Contes de Palestine*. Trad. Abdellatif Laâbi et Jocelyne Laâbi. Paris : Messidor/La Farandole, 1991. [FCL]

---. *Une boussole pour un soleil*. Trad. Leila el-Masri. Genève : Metropolis, 1992. [FI]

---. *Etoiles sur Jericho*. Trad. Anne-Marie Luginbuhl. Paris : L'esprit des péninsules, 2001. [FI]

Al-Barghouti, Hussein (1954-2002). *Lumière bleue*. Trad. Marianne Weiss. Arles : Actes Sud-Sindbad, 2004. [FI]

---. *Je serai parmi les amandiers*. Trad. Marianne Weiss. Arles : Actes Sud-Sindbad, 2008. [NF]

Barghouti, Mourid (1944-). *J'ai vu Ramallah*. Trad. Maha Billacois et Zeinab Zaza. Préface Edward Said. La Tour d'Aigues : Éditions de l'Aube, 2004. [RC]

Bishara, Azmi (1956-). *Checkpoint*. Trad. Rachid Akel. Arles : Actes Sud, 2004. [FI]

Darwich, Mahmoud (1941-2008). *Poèmes palestiniens : Les fleurs du sang*. Trad. Olivier Carré. Paris : Cerf, 1970. Rééd. augmentée : *Chronique de la tristesse ordinaire, suivie de Poèmes palestiniens*. Cerf, 1989. Rééd. 2009. [PO]

---. *Rien qu'une autre année : Anthologie poétique, 1966-1982*. Trad. Abdellatif Laâbi. Paris : Minuit, 1983. Rééd. 1997, 2003, 2005, 2009. [PO]

---. *Palestine mon pays : L'affaire du poème*. Trad. Abdellatif Laâbi. Avec la participation de Simone Bitton, Ouri Avnéri, Matitiahu Peled. Paris : Minuit, 1988. [NF]

---. *Plus rares sont les roses*. Trad. Abdellatif Laâbi. Paris : Minuit, 1989. [PO]

---. *Au dernier soir sur cette terre*. Trad. Elias Sanbar. Arles : Actes Sud, 1994. Rééd. Petite Bibliothèque Sindbad, 1999, 2009. [PO]

---. *Une mémoire pour l'oubli*. Trad. Yves Gonzalez-Quijano et Farouk Mardam-Bey. Arles : Actes Sud, 1994. Réimpr. 2003. Rééd. Babel, 2007. [NF]

---. *Pourquoi as-tu laissé le cheval à sa solitude ?* Trad. Elias Sanbar. Arles : Actes Sud, 1996. Réimpr. 2008. [PO]

---. *La Palestine comme métaphore*. Trad. Elias Sanbar et (pour l'hébreu) Simone Bitton. Arles : Actes Sud, 1997. Entretiens. Rééd. Babel, 2002. [NF]

---. *La terre nous est étroite et autres poèmes*. Anthologie choisie par l'auteur. Trad. Elias Sanbar. Paris : Gallimard, 2000. Rééd. 2003, 2005, 2008, 2010. [PO]

---. *Le lit de l'étrangère*. Trad. Elias Sanbar. Arles : Actes Sud, 2000. Retiré 2006, 2008. [PO]

---. *État de siège : Ramallah, janvier 2002, poème*. Trad. Elias Sanbar. Photos Olivier Thébaud. Arles : Actes Sud, 2003. [PO]

---. *Murale*. Trad. Elias Sanbar. Arles : Actes Sud, 2003. Rééd. 2008. [PO]

---. *Entretiens sur la poésie : Avec Abdo Wazen et Abbas Beydoun*. Trad. Farouk Mardam-Bey. Arles : Actes Sud, 2006. [NF]

---. *Ne t'excuse pas*. Trad. Elias Sanbar. Arles : Actes Sud, 2006. [PO]

---. *Comme des fleurs d'amandiers ou plus loin*. Trad. Elias Sanbar. Arles : Actes Sud, 2007. Retiré 2008. [PO]

---. *La trace du papillon : Pages d'un journal, été 2006-été 2007*. Trad. Elias Sanbar. Arles : Actes Sud, 2009. [PO]

---. *Anthologie poétique, 1992-2005*. Trad. Elias Sanbar. Choix et présentation Farouk Mardam-Bey. Arles : Actes Sud 2009. Retiré 2010. [PO]

---. *Le lanceur de dés et autres poèmes*. Trad. Elias Sanbar. Photos Ernest Pignon-Ernest. Arles : Actes Sud, 2010. [PO]

---. *Nous choisirons Sophocle*. Trad. Elias Sanbar. Arles : Actes Sud, 2011. [PO]

---. *L'exil recommencé, choix d'articles*. Trad. Elias Sanbar. Arles : Actes Sud-Sindbad, 2013. [NF]

---. *Je soussigné, Mahmoud Darwich, entretien avec Ivana Marchalian*. Trad. Hana Jaber. Arles : Actes Sud, 2015. [NF]

---. *Présente absence*. Trad. Farouk Mardam-Bey et Elias Sanbar. Arles : Actes Sud, 2016. [PO]

Fayad, Ashraf (1980-). *Instructions à l'intérieur*. Choix de textes traduits par Abdellatif Laâbi. Montreuil : Le temps des ceris-

es, et Ivry, Biennale internationale des poètes en Val-de-Marne, 2015. [PO]

Habibi, Emile (1921-1996). *L'Optissimiste : Les circonstances étranges de la disparition de Sa'îd Abou Nahs l'optissimiste*. Trad. T. H. Paris : Le Sycomore, 1980. [FI]

---. *Les aventures extraordinaires de Saïd le peptimiste*. Trad. Jean-Patrick Guillaume. Paris : Gallimard, Du monde entier, 1987. Retiré 2003, 2007. [FI]

---. *Péchés oubliés*. Trad. Jean-Patrick Guillaume. Paris : Gallimard, Du monde entier, 1991. [FI]

---. *Soraya fille de l'ogre*. Trad. Jean-Patrick Guillaume. Paris : Gallimard, Du monde entier, 1996. [FI]

--- et Yoram Kaniuk. *La terre des deux promesses*. Trad. Jean-Patrick Guillaume et (hébreu) Laurence Sendrowicz. Arles : Actes Sud-Solin, 1996. [NF]

Hourani, Hassan (?-2003). *Hassan voyage*. Trad. Lotfi Nia. Paris : Riveneuve, 2007. [NF]

Jabra, Jabra Ibrahim (1920-1994). *A la recherche de Walid Masud*. Trad. France Douvier Meyer. Paris : Lattès, 1988. [FI]

---. *Le premier puits*. Trad. Leila el-Masri et Jocelyne Laâbi. Paris : Albin Michel, 1993. Rééd. Paris : Le serpent à plumes, 2003. [FI]

---. *Les chanteurs dans l'ombre*. Trad. Aline Sibony-Ismaïl. Illustré. Paris : Syros, 1994. [FCL]

---. *Le navire*. Trad. Michel Burési et Jamal Chehayed. Paris : Arcantère, 1997. [FI]

---. *La quarantième pièce*. Trad. Luc-Willy Deheuvels. Paris : Langues et mondes : L'Asiathèque, 1997. Éd. bilingue. [FI]

Kanafani, Ghassan (1936-1972). *Des hommes dans le soleil, suivi de L'horloge dans le désert et Oum Saad la matrice*. Trad. et préface Michel Seurat. Paris : Sindbad, 1977. Rééd. Petite bibliothèque Sindbad, 1990. [FI]

---. *Contes de Palestine*. Trad. [?] et présentation Ibrahim Souss. Paris : Stock, 1979. [FI]

---. *Retour à Haïfa et autres nouvelles*. Trad. Abdellatif et Jocelyne Laâbi. Arles : Actes Sud-Sindbad, 1997. [FI]

Khalifa, Sahar (1941-). *Chronique du figuier barbare*. Trad. Djamel Eddine Bencheikh, Amina Rachid, Catherine Lévy. Paris : Gallimard, Du monde entier, 1978. [FI]

---. *La foi des tournesols*. Trad. Alain Roussillon. Paris : Gallimard, Du monde entier, 1988. [FI]

---. *L'impasse de Bab Essaha*. Trad. Mohamed Maouhoub et Youssef Seddik. Paris : Flammarion, 1997. Rééd. Poche 10/18, 2001. [FI]

---. *Un printemps très chaud*. Trad. Ola Mehanna et Khaled Osman. Paris : Seuil, 2008. [FI]

Maarouf, Mazen (1978-). *Un ange sur une corde à linge*. Trad. Samira Negrouche. Paris : Éd. de l'Amandier, 2013. [PO]

Al-Manacirah, Azzeddine (1946-). *Le crachin de la langue : Anthologie*. Trad. Mohamed Maouhoub et Mohamed Saadeddine El-Yamani. Bordeaux : L'Escampette, 1997. [PO]

Masarwi, Riad (1948-). *Les impuissants*. Trad. Firas Azzam El Nabulsi. Montreuil : Éd. Théâtrales, 2011. [TH]

Musallam, Akram (1971-). *L'histoire du scorpion qui ruisselait de sueur*. Trad. Stéphanie Dujols. Arles : Actes Sud-Sindbad, 2009. [FI]

---. *La cigogne*. Trad. Stéphanie Dujols. Arles : Actes Sud-Sindbad, 2015. [FI]

El-Qasem, Afnan (1944-). *L'Adverse*. Trad. et préface André Miquel. Paris : SPAG-Papyrus, 1983. [FI]

Al-Qassim, Samih (1939-2014). *Je t'aime au gré de la mort*. Trad. Abdellatif Laâbi. Paris : Minuit, 1988. [PO]

---. *Une poignée de lumière*. Trad. Mohammed Saadeddine El-Yamani. Belfort : Circé, 1997. [PO]

Sharabi, Hisham (1927-2005). *La braise et la cendre : souvenirs d'un intellectuel arabe*. Trad. Louis-Jean Duclos. Préface Ghassan Tuéni. Paris : L'Harmattan, 2005. [NF]

Shibli, Adania (1974-). *Reflets sur un mur blanc*. Trad. Stéphanie Dujols. Arles : Actes Sud, 2004. [FI]

---. *Nous sommes tous à égale distance de l'amour*. Trad. Sarah Siligaris. Arles : Actes Sud-Sindbad, 2014. [FI]

Shukair, Mahmoud (1941-). *Ma cousine Condoleeza, et autres nouvelles*. Trad. Stéphanie Dujols. Arles : Actes Sud-Sindbad, 2008. [FI]

Takrouri, Bassima (1982?-). *Journal sous occupation. Précédé de Correspondance avec Beverly Naïdoo*. Trad. Lotfi Nia. Marseille : La Courte échelle-Transit, 2006. [NF]

Touqan, Fadwa (1917-2003). *Le rocher et la peine, Mémoires : 1*. Trad. Joséphine Lama et Benoît Tadié. Paris : Langues et mondes : L'Asiathèque, 1997. [NF]

---. *Le cri de la pierre, Mémoires : 2*, suivi de *Rencontre*, par Yigal Sarina. Trad. Joséphine Lama et Benoît Tadié. Paris : Langues et mondes : L'Asiathèque, 1998. [NF]

Zaqtan, Ghassan (1954-). *Comme un rêve à midi*. Ed. bilingue. Trad. Antoine Jockey. Neuilly : Al Manar, 2010. [PO]